

القيمة التركيبية للصوائت في العربية

The Structural Value of Vowels in Arabic

م.م. ضياء رشيد حميد

مديرية تربية ديالى

diyaarasheed82@gmail.com

Diaa Rasheed Hameed

Directorate of Education - Diyala

Abstract:

Since vowels constitute the foundation upon which individual lexical items are built and regulated in their structure so as to be articulated smoothly and coherently, their influence in shaping the components of the sentence and producing them in a manner consistent with meaning and phonetic realization is more powerful and manifest. Accordingly, the study entitled “The Structural Value of Vowels in Arabic” seeks to demonstrate the functional impact of vowels at the syntactic level, as they delineate the distinctive properties of individual lexical items in both their stable forms and their alternations. The study also identifies the phonetic phenomena underlying them, which contribute to explaining the inflectional marking of words and their performance within the sentence.

The research adopts two approaches: a descriptive method based on a comprehensive survey of vowels, their distribution, and their syntactic effects; and an analytical method grounded in examining the placement of individual vowels within structural and sentential contexts, as well as their interaction with adjacent elements and their mutual influence.

المخلص

لما كانت الصوائت ترصُّ لبنات الألفاظ المفردة وتضبط بنيتها لتُخرج لفظها سهلاً متناسقاً ؛ كان أثرها في سبك مفردات الجملة وإخراجها مؤتلفة المعنى واللفظ أقوى وأظهر، فجاء بحث (القيمة التركيبية للصوائت في العربية) ليبيِّن الجوانب التأثيرية للصوائت في المستوى النحوي ؛ كونها ترسم خصوصية المفردة في حالة ثبات هذه الصوائت وتغيّرها، كما تبين ما قام عليها من ظواهر صوتية من شأنها تفسير وجوه اللفظ إعراباً وأداءً في الجملة. وقام البحث على منهجين، أحدهما الوصفي القائم على الاستقراء للصوائت ومواقعها وتأثيرها النحوي والآخِر المنهج التحليلي القائم على تحليل وضع الصوائت للمفردة بالنظر إلى السياقات التركيبية و المتجاورات الجمليّة وتأثيرها وتأثرها بعضها ببعض.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد؛

فيعدّ موضوع الصوائت من الموضوعات الأساسية في الدرس الصوتي العربي، وقد وقف عليه البحث بين منهجين في دراسة أصوات العربية، منهج علماء العربية القدماء، ومنهج اللغويين المحدثين وهو موضوع الصوائت في العربية باصطلاح المحدثين، والحركات باصطلاح القدماء وهي الألف والواو والياء والحركات الثلاث من جنسها، إذ أن الحركات الطويلة تفرق عن الحركات القصيرة باصطلاح القدماء في الكمية.

فالصوائت موجودة في كل مقطع من مقاطع الكلمة العربية إذ تمثل نواة الكلمة، وأن معرفة عددها يكفي لمعرفة عدد مقاطع الكلمة، ولا تخفى الوظائف الصرفية والنحوية التي تضطلع بها، ولذا هي أشيع الأصوات اللغوية في العربية، وقد زاد شيوعها في اللغة كونها من أسباب السهولة واليسر في النطق؛ لأن نطق الصائت أسهل من نطق الصامت، إذ لا يحتاج الصائت إلى حبس تيار النّفس أو إعاقته كما لا يحتاج إلى مكان نطق محدد.

وانطلاقاً من هذه الأهمية للصوائت فقد عملتُ على استقراء دورها في الجملة وفق المنهج الوصفي التحليلي، فلما كانت الجملة قائمة على العلاقات المتبادلة تأثيراً وتأثراً بين عناصرها فقد تناولت الصوائت في المستوى النحوي؛ لأبين ما تؤديه من معانٍ وما تفسره من حالات وظواهر في الجملة، فكان لابد من التعريف بمصطلح الصوائت أولاً ثم الانتقال إلى بيان أثرها النحوي، فجاءت مباحثه فيما يأتي.

المبحث الأول:

بيان المصطلح والصفات والمخارج

أولاً: الصوائت هي النوع الثاني من أنواع الاصوات العربية، فالنوع الأول يمثل الصوامت وهي ما اطلق عليه علماء العربية القدامى (الحروف الاصول) وعددها في العربية ثمانية وعشرون صوتاً

بضمنها الواو والياء غير المديتين^(١)، إذ ((تخرجان من المد بأن تتحركا، أو تكون قبل كل واحدة منهما حركة من غير جنسها^(٢)). وأما الصوائت فتمثل في العربية الحركات القصيرة (الفتحة، الكسرة، الضمة) وأصوات المد (ألف المد وياء المد وواو المد) ويُطلق عليها حديثاً الاصوات الطويلة، وقد بيّن سيبويه سبب تسميتها وعددها بقوله: «وحروف اللين هي حروف المد التي يمد بها الصوت، وتلك الحروف: الألف، والواو، والياء.»^(٣)

وأما الحركات القصيرة عند القدماء فذكرها المبرد بقوله: ((وبعضهن حركاتهن فحروف المد حيز على حدة ألا ترى أنك تذكرهن في مواضع الحركات فيدللن من الإعراب على ما تدلّ عليهن الحركات نحو مسلمين ومسلمون ورجلين ورجلان وكذلك أخوك وأخاك وأخيك^(٤)، و يقول ابن جني: ((اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والواو والياء. فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الكسرة والفتحة والضمة. فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة^(٥))).

ويعلل القدماء تسمية الصوائت القصيرة ب(الحركات) بالقول: ((وإنما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات، لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجذب به نحو الحروف التي هي أبعاضها، فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف والكسرة تجذب نحو الياء، والضمة تجذب نحو الواو، ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها، فإن بلغ بها مداها، تكملت له الحركات حروفاً، أعني ألفا وياء وواو^(٦))).

والصوائت عند المحدثين مصطلح لغوي ترجمة للمصطلح (vowel) الانكليزي^(٧)، وعدّ علماء اللغة المحدثون الأصوات صائتة (vowels) إذا كان النَّفَس الذي يؤدي إلى إصدارها يجري طليقاً

(١) ينظر: المقتضب: ١٩٢/١

(٢) المنصف: ٢٢٤/١

(٣) الكتاب: ٤٢٦/٣

(٤) المقتضب: ٢١١/١، وينظر: نتائج الفكر: ٧٨

(٥) سر صناعة الاعراب: ٣٣/١

(٦) ينظر: سر صناعة الاعراب: ٤٢/١، نتائج الفكر: ٨٤

(٧) ينظر: علم اللغة العام/الاصوات: ٧٣، دراسة الصوت اللغوي: ١٣٥، علم الاصوات: ٤١٩

لا يعترضه عائق حتى خروجه بحرية وعدّوا الاصوات صامتة، إذا صادف النَّفس الذي يؤدي إلى إصدارها عائقاً في نقطة ما يعترض طريقه حتى خروجه من الفم^(١).

وقد أطلق الدكتور إبراهيم أنيس عليها مصطلح (أصوات اللين)، قائلاً: ((وأصوات اللين ما اصطلاح القدماء على تسميته بالحركات، من فتحة وضمة وكسرة، وكذلك ما سمّوه بالالف اللينة و الياء اللينة والواو اللينة))^(٢)، وهو عند كمال بشر: الصوت المجهور الذي يحدث في أثناء النطق به، أن يمر الهواء حرّاً طليقاً، دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً^(٣). واستعمل الدكتور رمضان عبد التواب، مصطلح (الأصوات المتحركة)، قائلاً: والأصوات المتحركة في العربية الفصحى، ما سماه نحاة العرب بالحركات، وهي الفتحة والضمة والكسرة، وكذلك حروف المد واللين، كالألّف في (قال)، والواو في (يدعو)، والياء في (القاضي)^(٤).

واستعمل محمد المبارك مصطلح (حروف العلة أو المد)، شارحاً أن الحركات هي في الحقيقة، حروف مد قصيرة، ثم بيّن أن حروف العلة أو المد عرضة للتبدل والحذف، وذلك دليل على سبب تسمية النحاة لها (حروف العلة)، فهي من الكلمة موطن الضعف ومحل الاعتلال، ولعل هذا هو السبب في حذفها، في الرسم العربي القديم^(٥). وسمّاها الدكتور تمام حسان حروف العلة مشيراً إلى أنها ثلاثة لكل منها كميّتان إحداهما قصيرة أو حركة والثانية طويلة أو لين^(٦).

وأجد أن تعدد التسميات عند المحدثين ينبئ عن تنوع الفهم لهذا المصطلح وتداخله، وأكثرها وضوحاً وتحديداً مصطلح الصوائت؛ إذ ينبئ عن سمات خاصة لهذه الأصوات وهو يتوافق مع ترجمة المصطلح العلمي ويخلصه من خصوصية المصطلحات الأخرى التي ترتبط غالباً بسمات محددة في تسميتها، فحروف العلة حروف تتغير وتتحوّل كثيراً، وتسمية حروف المد قد لا تنطبق على الواو والياء في حال عدم سبقهما بحركة مجانسة، وتسمية الأصوات المتحركة قد ينطبق على الصوائت الطويلة ولا ينطبق على القصيرة منها فهي مجرد حركة ولا

(١) ينظر: الاصوات اللغوية: ٢٨، علم الاصوات: كمال بشر: ١٧٤

(٢) الاصوات اللغوية: ٢٩

(٣) علم اللغة العام/الاصوات: ٧٤

(٤) المدخل الى علم اللغة: ٤٢

(٥) ينظر: فقه اللغة: ٥٦

(٦) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١١٣

نقول عنها صوت متحرك.

والصوائت طويلة أو قصيرة نجد الفرق بينها في صفتي الكمية المعبرة عن مقدار الوقت المستغرق للنطق بها. وصفة الخفة والثقل المعبرة عن الجهد العضلي، مما يضع الضمة في المقدمة؛ لثقلها في النطق تليها الكسرة ثم الفتحة التي تعد أقل الصوائت استنزافاً للجهد، وأكثرها شيوعاً في أبنية الكلام وتراكيبه لخفتها وسهولة لفظها، فكلما كان المجهود أقل كان الصائت أخف، وفي ميزان القوة أضعف، وكلما كان المجهود أكثر كان الصائت أثقل وفي القوة أقوى^(١)، أي أن صفة الخفة والثقل ترادف الضعف والقوة.

ثانياً: مخارجها: جاء حصر الصوائت الطويلة عند سيوييه بقوله: ((والألف تشبه الواو والياء تشبههما في المد))^(٢)، وبين المبرد مخرج الألف بقوله: ((أما الألف فقد تقدم قولنا في أنها لا تكون أصلاً وأنها لا تكون إلا بدلاً أو زائدة وإنما هي هواء في الحلق يسميها النحويون الحرف الهاوي. . . والفتحة من مخرج الألف))^(٣)، ثم ذكر مخرجي الياء والواو بالقول: ((واعلم أن الياء والواو بمنزلة ما تدانت مخارجه وذلك لأنهما مشتركتان في المد واللين وأنهما يخرجان جميعاً منهما إذا تحركتا وكان قبل كل واحد منهما فتحة والواو تخرج من الشفة ثم تهوي في الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف والياء تخرج من وسط اللسان من مخرج الشين والجيم حتى تنقطع عند مخرج الألف فهما متجاورتان))^(٤)، وبيان مخارج هذه الاصوات (الصوائت الطويلة) هو بيان لأبعضها (الحركات) وهي الصوائت القصيرة^(٥). ويذكر ابن الانباري أن: ((معنى المعتلة: أنها حروف تتغير بانقلاب بعضها إلى بعض بالعلل الموجبة؛ ولذلك سُميت معتلة؛ وسُميت الألف، والياء، والواو؛ حروف المد واللين؛ أما المد: فلأن الصوت يمتدُّ بها، وأما اللين: فلأنها لانت في مخارجها واتسعت؛ وأوسعهنَّ مخرجاً الألف، ويُسمى الهاوي لهويّه في الحلق))^(٦).

ونجد عند المحدثين خاصيتين أساسيتين للصوائت القصيرة هما: حرية مرور الهواء خلال الحلق والفم، وذبذبة الأوتار الصوتية حال النطق بها، فالحركة صوت يحدث أثناء النطق به أن

(١) ينظر: الإبدال بين الصوائت القصيرة (بحث): ٦٤

(٢) الكتاب: ١٨٩/٤

(٣) المقتضب: ١٥٥/١

(٤) المقتضب: ٢٢١/١

(٥) ينظر: سر صناعة الاعراب: ٤٢/١، نتائج الفكر: ٨٤

(٦) أسرار العربية: ٢٩٠

يمر الهواء حرّاً طليقاً من خلال الحلق والشم، دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً، ودون أن ينحرف عن وسط الفم إلى الجانبين أو أحدهما وهي في العادة صوت مجهور^(١). وهذه ميزة انمازت بها الصوائت من غيرها من الأصوات وتختلف الصوائت نفسها في هذه الحرية المطلقة. والحركات في الغالب مجهورة في لغتنا وربما يقع بعضها مهموساً في بعض السياقات في بعض اللغات^(٢).

المبحث الثاني:

الصوائت في المستوى النحوي

إن دور الأصوات في المستوى النحوي للغة العربية دور مهم، إذ تمثل وسيلة التفريق بين عناصر التركيب بفضل ارتباطها بالمعنى الإفرادي أو التركيبي، ففي المعنى الإفرادي نجد المفردة المؤلفة من مجموعة من الأصوات تنماز عن غيرها مما يشابهها في البنية عن طريق الصوائت ممّا يساعد في تخصيص الدلالة الأنسب للبناء التركيبي وعند دخولها في التركيب ستكون للصوائت أهمية أخرى في بيان وظيفتها النحوية ومعناها التركيبي زيادة على دورها في خلق التناسق الصوتي بين المفردات، يُضاف له دورها في تفسير بعض مسائل النحو وتعليلها بالرجوع إلى علم الأصوات؛ ولبيان هذا الأثر لابدّ من النظر إلى الصوائت الثابتة والمتغيرة في بنية الكلمة:

١ - الصوائت الثابتة في بنية الكلمة: تظهر قيمة الصوائت الثابتة في البنية بتأثيرها في تغيير الكلمة (العنصر النحوي) من نوع إلى آخر مما يؤدي إلى تغيير نوع الارتباط بين الكلمات في التركيب، فيتبع التغيير في المعنى الإفرادي للكلمة تغييراً في المعنى التركيبي على نحو ما يتضح من الأمثلة الآتية: - التفريق بين الاسم والفعل بتأثير الحركات (الصوائت) في بنية الكلمة إذ يتحول الفعل عن طريق الحركات إلى اسم، وتحويل المعنى من الحدث الذي يلابس الزمن إلى دلالة الاسم التي تتخلى عن ملابسة الزمن المحدد في معناها الذي تدل عليه؛ فصيغة الفعل الثلاثي (فَعَل) بتغيير صائت قصير واحد فيها ستعطي صورة الاسم: فَعَلٌ، نحو: نَصَرَ: نَصْرٌ، فَهَمٌ - فَهْمٌ، فَرَحٌ - فَرَحٌ.

(١) ينظر: دراسات في علم اللغة (كمال): ٨٧

(٢) ينظر: علم الأصوات: ٢١٧ - ٢١٨

ومثله تأثير الصوائت إن طالت في نحو: وَصَلَ: وَاصِلٌ، حَسِبَ: حَاسِبٌ، خَافَ: خَوْفٌ. يضاف إلى هذا أن لكل كلمة من الفعل والاسم مساحة دلالية تتحرك فيها ويميز بينهما بفروق دلالية واضحة، فالتعبير بالفعل يشير إلى أهمية الحدث وأنه مدار الكلام، وكل أطراف الجملة تتعلق به من فاعل للحدث، أو مفعول وقع عليه الحدث، أو حال للحدث، أو صفة للحدث، أو ظرف للحدث، في حين أن الاسم يشير إلى أهمية فاعل الحدث واستمرارية حدوثه من هذا الفاعل. (١) - تأثير الصوائت في تحويل نوع الفعل بتغيير بنيته من البناء للمعلوم الى البناء للمجهول أو للمفعول و «هو ما استغنى عن فاعله فأقيم المفعول مقامه وأسند إليه معدولاً عن صيغة (فعل) إلى (فعل)، ويسمى فعل ما لم يسم فاعله»، نحو قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿١﴾ [الرحمن: ١ - ٣]، وقوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا) [النساء: ٢٨]، فهذا التحوّل في بنية الفعل يغيّر نوع العلاقة التركيبية بينه وبين ما كان مفعولاً له في بنائه للمعلوم وهذا يلزم تغييراً في المعنى، فكان العلم بالفاعل سبباً في الاستغناء عنه محلاً بالمفعول مع التركيز على المفعول والاهتمام به؛ لارتباط الضعف به وهو ما ناسب ذكر التخفيف عنه، وقد تغيّر المعنى النحوي للفظ (الإنسان) لتغيّر الارتباط بين الفعل وبينه وهذا كّلّه نتيجة لتأثير الصوائت القصيرة في تغيير بنية الفعل من المعلوم الى المجهول، ومن صور تأثير الصوائت الطويلة ما نجده في: خَافَ وَخِيفَ إذ أدّى التغيّر في الصائت الطويل مع الصوائت القصيرة في تحويل الفعل الى البناء للمجهول، ومثله (نَادَى) في قوله تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ) [الاعراف: ٤٨]، وعند البناء للمجهول يصبح (نُودِي) كما في قوله تعالى: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ) [القصص: ٣٠] - التفريق بين الاسم والحرف، فحرف الجر (مِنْ) حين تتغير حركة البنية الثابتة فيه بتغيير كسرة الميم إلى فتحة فيتحوّل إلى مبنى جديد هو (مَنْ) اسم استفهام، ويترتب على ذلك تغيير في نمط الجملة والمعاني التي تدل عليها هذه الانماط التركيبية^(٢). فانتقال البناء من معنى الحرف الى معنى الاسم سببه صائت قصير لم يؤثر في نوع المقطع بل شكله فقط (م - ن: م - ن) ويتبين فرق ذلك في التركيبين: - لا بد للبلغ من ذوقٍ نحوي شديد. - مَنْ لَمْ يَذُقْ مَرَّ التَّعْلَمِ

(١) ينظر: الصوائت والمعنى في العربية: ٥٣ - ٥٤

(٢) ينظر: الصوائت والمعنى في العربية: ٥٢

ساعة تجرّع مرّ الجهل طول حياته^(١).

فليس للحرف (من) أن يدخل على حرف آخر في بنية التركيب، فهذه الحالة متاحة للبنية الاسمية (من) كما في التركيب الثاني. إذ الاستعمال التركيبي يستلزم مواضع مقيدة لحرف الجر بأن يسبق اسما ليكون في موضع الجر، نحو قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) [الاسراء: ١] بينما يشغل اسم الاستفهام (من) مواضع استبدالية لمدخولاته من الأفعال أو الأسماء لتتعلق به في بنية التركيب، نحو قوله تعالى: (من) بعثنا من مرقدنا) [يس: ٥٢]، وقوله جلّ شأنه: (فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى) [طه: ٤٩] وليس من فرق في شكل (من) إلا في الصائت القصير بين الكسر والفتح ولولاه لما أمكن التفريق بين البنيتين واستعمالتهما.

٢ - صوائت البناء: حركة البناء الحركة التي تصاحب الحرف الأخير من الكلمة المبنية وتثبت عليه مهما اختلفت العوامل الوظيفية المؤثرة على المعنى، مثل: جاءت حذام، ورأيت حذام، ومررت بحذام^(٢)، وقد عرف ابن جني البناء بقوله: ((هو لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون أو الحركة، لا لشيءٍ أحدث ذلك فيه من العوامل))^(٣)، وحركات البناء هي: - الفتح إذ تبنى عليها: الحروف والأسماء والأفعال، فمن أمثلة الحروف المبنية على الفتح: الواو (و)، الكاف (ك)، إن، ومن الأسماء: أين، شتان، رويد، وأما الأفعال فماضيها مبني على الفتح في الأصل طالما لم يتصل به شيء، نحو: رجع ودخل، وخاف. - الضمة، وتبنى عليها: الحروف، نحو: منذ، والأسماء، نحو: ضمير الغائب (هاء)، حيث وقط، والأفعال تبنى على الضم في الماضي والأمر لاتصالها بواو الجماعة، نحو: علموا، إذهبوا. - الكسرة، وتبنى عليها: الحروف، نحو: الباء الجارة، والأسماء، نحو: سيبويه وحذام.

٣ - الصوائت المتغيرة: والمراد بها علامات الاعراب إذ يصيبها التغيير بحسب الوظيفة النحوية وهي نوعان: - علامات الاعراب الأصلية: وتمثلها الصوائت القصيرة (الحركات)، و تلحق آخر الكلمة المعربة^(٤). وتفصيل بيانها نجده عند ابن السراج بقوله: ((الإعراب الذي يلحق الاسم

(١) ديوان الشافعي: ٥٩

(٢) ينظر: دور الصوائت العربية في وضوح المعنى (بحث): ٢١

(٣) الخصائص: ٣٧ / ١

(٤) ينظر: الاصول: ٤٥ / ١،

المفرد السالم المتمكن، وأعني بالتمكن ما لم يشبه الحرف قبل التثنية والجمع الذي على حد التثنية، ويكون بحركات ثلاث: ضم وفتح وكسر، فإذا كانت الضمة إعراباً تدخل في أواخر الأسماء والأفعال وتزول عنها، سميت رفعاً، فإذا كانت الفتحة كذلك سميت نصباً، وإذا كانت الكسرة كذلك سميت خفضاً وجرّاً، هذا إذا كنَّ بهذه الصفة نحو قولك: هذا زيدٌ يا رجل، ورأيت زيداً يا هذا، ومررت بزيدٍ فاعلم، ألا ترى تغيير الدال واختلاف الحركات التي تلحقها))^(١). ((وأصل الإعراب الحركة))^(٢) وإنما كان الأصل في علامات الإعراب الحركات دون الحروف لثلاثة أوجه:

أحدها: أن الإعراب دالٌّ على معنىٍ عارضٍ في الكلمة؛ فكانت علامته حركة عارضة في الكلمة لِمَا بينهما من التناسب.

والثاني: أن الحركة أيسر من الحرف؛ وهي كافية في الدلالة على الإعراب؛ وإذا حصل الغرض بالأيسر لم يُصَرِّ إلى غيره.

والثالث: أن الحرف من جملة الصيغة الدالة على معنى الكلمة اللازم لها؛ فلو جعل الحرف دليلاً على الإعراب لأدَّى ذلك إلى أن يدلَّ الشيء الواحد على معنيين؛ وفي ذلك اشتراك؛ والأصل أن يُخصَّصَ كلُّ معنىٍ بدليل^(٣). - علامات الإعراب الفرعية: وهي علامات تنوب عن الصوائت القصيرة الأصلية، قد تكون حروفاً وقد تكون حركات (صوائت).

من ذلك اعراب المثني وجمع المذكر السالم، قال سيبويه: ((واعلم أنك إذا تثبت الواحد لحقته زيادتان: الأولى منهما حرف المد واللين وهو حرف الإعراب غير متحرِّك ولا منون، يكون في الرفع ألفاً، ولم يكن واواً ليفصل بين التثنية والجمع الذي على حد التثنية، ويكون في الجرِّ ياء مفتوحاً ما قبلها، ولم يكسَّرْ ليُفَصَّلْ بين التثنية والجمع الذي على حد التثنية. ويكون في النصب كذلك، ولم يجعلوا النصب ألفاً ليكون مثله في الجمع، وكان مع ذا أن يكون تابِعاً لما الجرُّ منه أولى، لأنَّ الجرَّ للاسم لا يجاوزُه، والرفع قد ينتقل إلى الفعل، فكان هذا أغلب وأقوى. وتكون الزيادة الثانية نوناً. . . وإذا جمعت على حد التثنية لحقتها زائدتان: الأولى منهما حرف المد واللين، والثانية نون. وحال الأولى في السكون وترك التنوين وأنها حرف الإعراب، حال الأولى

(١) الاصول: ٤٥/١

(٢) اللمحة في شرح الملححة: ١٥٣/١

(٣) ينظر: اللباب في علل البناء والاعراب: ٥٤/١ - ٥٥

في التثنية، إلا أنها واو ومضموم ما قبلها في الرفع، وفي الجر والنصب ياءً مكسورٌ ما قبلها ونونها مفتوحة، فرقوا بينها وبين نون الاثنين كما أنَّ حرف اللين الذي هو حرف الإعراب مختلفٌ فيهما. وذلك قولك: المسلمون، ورأيت المسلمين ومررت بالمسلمين^(١).

وعند مقابلة علامات الاعراب الاصلية بعلاماته الفرعية نجد:

علامة الاعراب الفرعية	علامة الاعراب الاصلية
- الألف في المثني والملحق به - الواو في جمع المذكر السالم والملحق به - الواو في الاسماء الستة - ثبوت النون في الافعال الخمسة	علامة الرفع للاسماء والافعال: الضمة
- الألف في الاسماء الستة - الياء في المثني والملحق به - الياء في جمع المذكر السالم والملحق به - الكسرة في جمع المؤنث السالم والملحق به - حذف النون في الافعال الخمسة	علامة النصب للاسماء والافعال: الفتحة
- الياء في الاسماء الستة - الياء في المثني والملحق به - الياء في جمع المذكر السالم والملحق به - الفتحة في الممنوع من الصرف	علامة الجر: الكسرة

والاعراب عند الأشموني: ((ما جيء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف))^(٢)، وهو مرتبطٌ بالمعنى إذ يقول ابن جنبي أنه: ((الإبانة عن المعاني بالألفاظ، الا ترى انك إنا سمعت: اكرم سعيداً أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل

(١) الكتاب: ١٧/١ - ١٨

(٢) شرح الأشموني: ١٩/١

من المفعول، ولو كان الكلام شرحاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه^(١)، و يتفق هذا مع ما في علم اللغة الحديث حيث تُعدّ الحركة الإعرابية (قصيرة أو طويلة) وحدة صرفية (مورفيم) لها اثرها في تغييره المعنى، وأن تغييره يكون بسبب الرغبة في الإبانة والإفصاح عن معنى جديد في النفس^(٢)؛ فالكلمة الواحدة يتغير المعنى المتعلق بها بسبب تغير الحركة الإعرابية، نحو: - ما أجمل السماء - ما أجمل السماء

فالفعل (أجمل) بالبناء على الفتح يعبر عن معنى التعجب وبهذا كانت (السماء) بالنصب المتعجب منه، في حين أفاد (أجمل) بالرفع معنى الاستفهام بصيغته الاسمية و(السماء)المسؤول عنه مضاف إليه.

المبحث الثالث:

التعليل الصوتي لبعض المسائل النحوية

تلعب العلاقات الصوتية بين الصوائت دوراً في التعليل الصوتي لبعض المسائل النحوية، نذكر من ذلك:

١ - قانون المماثلة الصوتية أو التوافق الحركي: ومن اسمائها عند سيبويه المضارعة والاتباع^(٣)، و الإتياع يحدث في الصوائت فقط ويراد به ميل الحركات المتباينة في الكلمة الواحدة إلى التوافق والانسجام؛ لئلا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية، ف تؤثر حركة متقدمة في الكلمة أو الكلام في حركة متأخرة، فتقلبها مثلها ليتجانسا، فيكون التأثير تأثيراً تقدماً، ويسمى الإتياع حينئذ إتياعاً مقبلاً أو تقدماً، أو تؤثر حركة متأخرة في حركة متقدمة في الكلمة أو الكلام، فيكون التأثير تأثيراً رجعياً، ويسمى الإتياع في هذه إتياعاً مدبراً أو رجعياً^(٤)، والمماثلة تحدث في الصوائت والصوامت، و يظهر دور هذه الظاهرة في تعليل ما يأتي:

(١) الخصائص: ٣٥/١

(٢) ينظر: الصوائت والمعنى في العربية: ٦٢

(٣) ينظر: الكتاب: ٤٧٩/٤

(٤) ينظر: دراسة في أصوات المد العربية: ١٨٥

أ - كسر آخر المضاف إلى ياء المتكلم، إذ هو لون من الانسجام الصوتي، وذكروا أن الحركة الإعرابية، تقدر على ما قبل الياء، لانشغال المحل بحركة مناسبة، لأن جهاز النطق ميال إلى التخفيف من الجهد العضلي الذي يبذله، في أداء الأصوات اللغوية، في نطاق المفردات أو الجمل. (١)

ب - نصب (إن) وأخواتها للاسم بعدها: ذهب النحويون إلى أن (إن) وأخواتها تنصب المبتدأ، اسماً لها، وترفع الخبر، خبراً لها، لأنها أشبهت الأفعال، وجعلوا بينها وبين (كان) مناسبة وشبهاً في والمعنى، ثم جعلوا (إن) فرعا ل (كان)، فأعطيت حكم الفروع، وهو تقديم المفعول على الفاعل، فصار اسمها لهذه العلة منصوباً، (٢) وهناك من يرى أن النصب الذي نلاحظه في اسم (إن) وأخواتها، لم يأت مما ذكر وإنما من مماثلة النصب وعلامته الأصلية، الفتحة، لحركة الفتح في أواخر (إن) وأخواتها التي لا تنفك عنها، خاصة أن أربعة منها مشددة، وهذا ما يمنحها قوة مؤثرة، فيما يليها مع توثيق الفتح الملازم لها، أما ما نون من أسمائها فليبيان التنكير، في هذه الأسماء واستقلالها وانفصالها، عما بعدها، وهو معنى يقع مع وقوع الإتيان الحركي، بين (إن) وسائر أخواتها وما يليها، فضلاً عن أن التنوين صوت يلحق الحركة ولا يلغيها. (٣)

ج - أحرف المد في النداء: ((والندبة يلزمها يا ووا؛ لأنهم يحتلطون ويدعون ما قد فات وبعد عنهم. ومع ذلك أن الندبة كأنهم يترنمون فيها، فمن ثم ألزموها المد، وألحقوا آخر الاسم المدّ مبالغة في الترتم)) (٤).

ويبين ابن جنبي في (باب في مطلق الحروف) «وإنما مطلت ومدت هذه الأحرف في الوقف وعند التذكر، من قبل أنك لو وقفت عليها غير ممطولة ولا ممكنة المدة، فقلت: ضرباً وضربوا واضربي وما كانت هذه حاله وانت مع ذلك متذكر لم «توجد في» لفظك دليلاً على أنك متذكر شيئاً ولأوهمت كل الإيهام أنك قد أتممت كلامك ولم يبق من بعده مطلوب متوقع لك؛ لكنك لما وقفت ومطلت الحرف علم بذلك أنك متطاول إلى كلام تالٍ للأول منوط به، معقود ما قبله على تضمنه وخلطه بجملته. ووجه الدلالة من ذلك أن حروف اللين هذه الثلاثة إذا وقف

(١) ينظر: قضايا صوتية في النحو العربي (بحث): ٣٧١

(٢) ينظر: أثر الأصوات الصائتة في المستويين (الصرفي والنحوي) (بحث): ١٣٧

(٣) ينظر: قضايا صوتية في النحو العربي (بحث): ٣٧٣

(٤) الكتاب: ٢ / ٢٣١

عليهن ضعفن، وتضاءلن، ولم يف مدهن، وإذا وقع بين الحرفين تمكن، واعترض الصدى معهن. ولذلك قال أبو الحسن: إن الألف إذا وقعت بين الحرفين كان لها صدى. ويدل ذلك على أن العرب لما أرادت مطلهن للندبة وإطالة الصوت بهن في الوقف وعلمت أن السكوت عليهن ينتقصهن ولا يفي بهن أتبعتهن الهاء في الوقف توفية لهن وتطاولا إلى إطالتهن. وذلك قولك: وازيداه، واجعفراه. ولا بد من الهاء في الوقف فإن وصلت أسقطتها، وقام التابع غيرها في إطالة الصوت مقامها. وذلك قولك: وازيدا، واعمراه. وكذلك أختاها. وذلك قولهم: ((وانقطاع ظهريه، وواغلامكيه، وواغلامهوه، وواغلامهموه. وتقول في الوصل: اغلامهمو لقد كان كريما! وانقطاع ظهري من هذا الأمر! والمعنى الجامع بين التذكر والندبة قوة الحاجة إلى إطالة الصوت في الموضوعين))^(١).

د - فتح (لام المستغاث):

ذهب النحويون إلى أن لام المستغاث، وهي لام الجر المكسورة، تفتح مع المستغاث المباشر لها، ولا تكسر مع ياء المتكلم ومع الضمير، من نحو: يا لك، لأن المستغاث يقع موقع الضمير، وكأنهم يقصدون بذلك أن المستغاث غائب، كما أن الضمير غائب، في نحو قولنا له ولها و لهم ولهن، وحيل عليه ضمائر المخاطبين، نحو: لك ولكم ولكما، أو للفرق بين المستغاث به والمستغاث من أجله، وليس الأمر كما توهموا، فالعلة في فتح اللام مع الضمير ومع المستغاث، علة صوتية واحدة، وليس ثمة مشابهة بين الضمير والمستغاث، ليصح قياسهم بعلة هذه المشابهة، فاللام مع المستغاث فتحت إبتاعاً، ومماثلة للصائت الطويل في أداة الاستغاثة (يا)، لتخفيف الجهد على جهاز النطق، لأن الانتقال من الصائت الطويل الذي يجري مع الألف إلى الفتح، أيسر وأسهل وأخف، ولكنه إذا انتقل إلى الكسر، أدى ذلك إلى إجهاد وصعوبة على جهاز النطق، فيعدل عنها إلى ما هو أسهل منها، وهو الانتقال من الصائت الطويل (الألف)، إلى الصائت القصير المناظر (الفتحة)، وهذا يعني أن لام الاستغاثة تفتح مع (يا) الاستغاثة مطلقاً، فإذا لم تكرر (يا) في الاستغاثة كسرت اللام، كقولنا يا لزيد ولعمرو، ومما جاء منها قول الشاعر:

يكيك ناءٍ بعيدُ الدار مغترَّبٌ يا للكهول وللشبان للعجبِ

(١) الخصائص: ٣/١٣٠

ولكن (يا) إذا كررت مع المستغاث فتحت. ومثل لام المستغاث تفتح لام الجر مع الضمائر، وتفسر بالتغير ذاته، لأن كل الضمائر المتصلة، إنما مفتوحة وإما مضمومة، أما فتح اللام مع كاف المؤنثة المخاطبة مع كونها مكسورة، فهو للتسهيل والتخفيف والابتعاد عن الانتقال من الكسر إلى الكبير، نحو: لك الخير.

هـ - بناء اسم (لا) النافية للجنس: يرى النحويون أن اسم (لا) النافية للجنس مبني على الفتح؛ لأنه يتركب معها كتركيب (أحد عشر) وأصواتها، وذهبوا إلى أن التنوين حذف للتخفيف؛ لأنّ الفتحة فتحة إعراب، والاسم مع (لا) مركب مع إعرابه، لا ينفصل عنه، كما لا ينفصل (عشر)، عن (خمسة) وذهب آخرون إلى أن (لا) نصبت الاسم أولاً، ثم بُني بعد ذلك^(١). ويرى الدكتور طارق الجنابي أن علة الفتح تأتي من جهتين:

أحدهما - أن المركب يستطيل بالتركيب ولهذا يتحرك جزؤه بالفتحة، لما تمتاز به، من الناحية النطقية، من الخفة في اللفظ فهي صائت خفيف.

والأخرى - أن ملازمة (لا) النافية للجنس لاسمها، أدى إلى تأثير واضح للصائت الطويل، في حركة اسمها، فكان هذا الصائت القصير (الفتحة)، مماثلاً لنظيره الطويل (الألف). وهكذا كان من اللازم في منطق اللغة، أن يكون اسم (لا) مبني على الفتح.^(٢)

٢ - قانون المخالفة الصوتية أو التخالف الحركي: الواضح أن قانون المخالفة الصوتية يحدث بين الصوامت، والتخالف الحركي بين الصوائت، وقد أشار اللغويون إلى أن الغرض منه تجنب توالي الأمثال في الكلمة الواحدة، وفيه نوع من التيسير على جهاز النطق، فاستندوا إليه في تعليل بعض المسائل النحوية ومنها:

١ - نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة: جمع المؤنث السالم هو ما جمع بألف وتاء زائدتين على مفردة للدلالة على الجمع والتأنيث، والمشهور من آراء النحويين، أن علامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة، وقد جعله المحدثون من باب (المخالفة الصوتية)، فلما جاورت الألف، وهي صائت طويل، الفتحة، وهي صائت قصير، توالى المثان، وهما الألف والفتحة، فقلبت الفتحة كسرة^(٣)، ليسهل النطق بهذه المخالفة، وروى الكوفيون

(١) ينظر: المقتضب: ٣٧٥ / ٤

(٢) ينظر: قضايا صوتية في النحو العربي (بحث): ٣٧٢

(٣) ينظر: التطور اللغوي: ٦٧

نصبه بالفتحة في قول العرب (سمعت لغاتهم)^(١).
ولكن الفتح يؤدي إلى مماثلة صوتية، غير مقبولة لاشعوريا عند الناطقين، فنصب جمع المؤنث بالكسرة لغرض تحقيق المخالفة الصوتية، مع الصائت الطويل (الألف) الذي قبلها، وهي مخالفة غير مباشرة، لوجود فاصل بين الحركتين وهو صوت التاء^(٢).
ب - كسر نون المثني: المثني هو ما دل على اثنين أو اثنتين، متفقين في اللفظ والمعنى بزيادة ألف ونون مكسورة أو ياء ونون مكسورة، وإنما كسرت نون المثني لأنها سبقت بصائت طويل، وهو الألف في حالة الرفع، فكره تحريكها بالفتح، لتفادي اجتماع المثليين، حيث يحكم التغيير قانون المخالفة الصوتية، أما في حالتي الجر والنصب فيكون كسرهما، لمماثلة حركة الياء، إذ لا يمكن الانتقال من الياء الثقيلة إلى الفتح الخفيف، كما في كسر آخر المضاف إلى ياء المتكلم^(٣).

(١) الخصائص: ٣٨٤/١

(٢) ينظر: أثر الاصوات الصائتة (بحث): ١٣٩

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٠

الخاتمة

- أمّا بعد حمد الله والصلاة على رسوله الكريم وآله وصحبه أجمعين، فنقول:
- ١ - إنّ مصطلح الصوائت في العربية يشمل الحركات القصيرة (الفتحة، الكسرة، الضمة) وأصوات المد (ألف المد وياء المد وواو المد) وتسمى حديثاً الصوائت الطويلة.
 - ٢ - الحركة صوت يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حرّاً طليقاً من خلال الحلق والفم، من دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل، ومن دون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً، ومن دون أن ينحرف عن وسط الفم إلى الجانبين أو أحدهما.
 - ٣ - الحركات أقوى الأصوات وضوحاً في السمع وتختلف الحركات فيما بينها في درجة الوضوح فأقوى الحركات وأشدّها وضوحاً هي الحركة الفتحة.
 - ٤ - من بين القوانين الصوتية للصوائت قانونا المماثلة والمخالفة فهما من الظواهر اللغوية التي لها دور بارز في بناء الكلمة العربية وتناسق أصواتها، وتؤدي هاتان الظاهرتان في اللغة العربية دوراً واضحاً في اقتصاد الجهد بالنسبة للمتكلّم.
 - ٥ - تتعدد وظائف الصوائت بحسب المستوى اللغوي، فهي في المستوى الصوتي تقوم بدور الوصل بين الأصوات الصامتة، كما تقوم بوظائف دلالية في بنية الكلمة في المستوى الصرفي، زيادةً على قيامها بوظائف نحوية كعلامات إعرابية في آخر الكلمة في المستوى التركيبي.
 - ٦ - للصوائت دور بارز في تعدد المعاني وتنوعها ويظهر دور الصوائت في الجملة العربية من خلال كونها عنصراً من عناصر التعبير عن المعنى ووظيفتها الصوتية لوصول الكلام.
 - ٧ - القيمة التركيبية للصوائت موضوع تظهر ثماره في تناسق المفردات والجمل والتراكيب وبالإمكان دراسته لبيان مدى تناسق النصوص العربية الشعرية والنثرية.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (١٩٩٩). أسرار العربية. دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (٢٠٠٠). سر صناعة الإعراب. دار الكتب العلمية.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (١٩٩٠). الخصائص (تحقيق: محمد علي النجار). دار الشؤون الثقافية العامة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (١٩٥٤). المنصف في شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني. دار إحياء التراث القديم.
- ابن السراج، محمد بن السري. (د. ت). الأصول في النحو (تحقيق: عبد الحسين الفتلي). مؤسسة الرسالة.
- ابن الصائغ، محمد بن علي. (٢٠٠٤). اللمحة في شرح الملححة (تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي). عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية.
- أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين. (١٩٩٥). اللباب في علل البناء والإعراب (تحقيق: عبد الإله النبهان). دار الفكر.
- أبو القاسم السهيلي. (١٩٩٢). نتائج الفكر في النحو. دار الكتب العلمية.
- إبراهيم أنيس. (١٩٧٩). الأصوات اللغوية. مكتبة الأنجلو المصرية.
- بشر، كمال. (١٩٧٩). علم اللغة العام: الأصوات. دار المعارف.
- بشر، كمال. (١٩٨٨). دراسات في علم اللغة. دار غريب للطباعة والنشر.
- بشر، كمال. (٢٠٠٠). علم الأصوات. دار غريب.
- تَمّام، حسان. (١٩٩٠). مناهج البحث في اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية.
- داود، محمد محمد. (٢٠٠١). الصوت والمعنى في العربية. دار غريب.
- سيويه، عمرو بن عثمان. (١٩٨٨). الكتاب (تحقيق: عبد السلام محمد هارون). مكتبة الخانجي.

- الشافعي، محمد بن إدريس. (١٩٨٥). ديوان الشافعي (تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي). مكتبة الكليات الأزهرية.
- عمر، أحمد مختار. (٢٠٠٠). دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب.
- المالكي، مطير بن حسين. (د. ت). دور الصوائت العربية في وضوح المعنى وأمن اللبس. مسترجع من <https://ebook.univeyes.com>
- المبارك، محمد. (د. ت). فقه اللغة. مطبوعات جامعة دمشق.
- المبرد، محمد بن يزيد. (د. ت). المقتضب (تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة). عالم الكتب.

البحوث:

- الجنابي، طارق عبد عون، (١٩٨٧). قضايا صوتية في النحو العربي. مجلة المجمع العلمي العراقي، ع ٢.
- بويشار، عمر، (٢٠١٤). الإبدال بين الصوائت القصيرة في ضوء علم الأصوات الوظيفي. مجلة الأثر، (٢٠).
- إسماعيل بصل، محمد. (٢٠٠٩). أثر الأصوات الصامتة في المستويين الصرفي والنحوي. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، ٣١(٢).

